17/10/2025

الابتلاء بالرخاء والشدة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الحمدُ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَن يَهْدِهِ اللَّهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ، وَمَن يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.أما بعدُ، فإنَّ أصدقَ الحديثِ كتابُ اللَّهِ، وخيرَ الهديِّ هديُ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم، وشرَّ الأمورِ مُحدثاتُها، وكلُّ مُحدثةٍ بِدْعةٌ، وكلُّ بِدْعةٍ ضلالةٌ.في هذا اليوم، نُسلِّطُ الضوءَ على حكمةِ الله تعالى في ابتلاء عبادِهِ، بين الشدَّة والرخاءِ، ونسأل اللهَ أن يجعلَنا من الذين سلكوا سبيلَه بالحكمةِ والصبرِ والشكر.قَالَ الله تَعَالَى:

﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: 35].

في هذه الآية الكريمةِ الحَكِيمةِ دليلٌ صريحٌ على أنَّ الله سبحانه يختبر عباده بما هو خيرٌ لهم، وما يظنُّونَه شرًا، وأنَّ البلاءَ والنعمةَ كلاهما اختبارٌ وامتحان. فحينَ يمرُّ العبدُ بمحنةٍ أو شدةٍ ما، سواءٌ كانت في صحته أو ماله أو عائلته، يجب أن يوقِن أنَّ هذه الابتلاءاتَ من حكمة اللهِ وفضله، وقد قَدَّرَها لرفع درجاته وتكفير السيئات، وإظهار الصابرين المحتسبين، فالله تَعَالَى يقول:

﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: 30].وَنَبِيُّنا صلى الله عليه وسلم قال:

"ما يصيبُ المسلمَ من نصبٍ، ولا وصبٍ، ولا همٍّ، ولا حزنٍ، ولا أذى، ولا غمٍ، حتى الشوكة يشاكُها، إلا كفَّرَ اللهُ بها من خطاياه" [البخاري ومسلم].

هذه الأحاديثُ الشريفةُ تصف لنا معدنَ الإنسانِ المؤمنِ، وكيفَ يكون البلاءُ سببًا في تطهير النفوسِ وبلوغِ الدرجاتِ العالية. والشدَّةُ تُوقِظُ النفوسَ، وتُخرِجُ العبدَ من الغفلة، فيصيرُ القلبُ خاشعًا ويرتبطُ بالرحمنِ ويجِد من الدعاءِ والاستعانة قوةً لا يُدركها إلا المؤمنُ القويُّ. أمّا الابتلاء بالرخاءِ، فهو كما قال أهل العلمِ، من أشدِّ الفتنِ، لأن النِّعَمَ تلهي القلبَ، وتُغَيِّبُ عنه ذكرَ الله وتجعله يغترُّ بالمادياتِ، ويغفل عن حقائقِ الدين. قال الله تعالى:

﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ...﴾ [الأنعام: 44].هنا، تُبيّنُ الآيةُ كيف أن الغفلة في الرخاء قد تنقل العبدَ إلى نهاياتٍ مأساوية، حيثُ يفتح اللهُ له أبوابَ الفساد، ويأخذُه بغتةً، فلا يشعر. وقد علمنا النّبيُّ صلى الله عليه وسلم أن معرفةَ الله في الرخاءِ هي التي تحفظُ العبدَ في الشدّة، قال:

"تعرَّفْ إلى الله في الرخاءِ، يعرفك في الشدَّةِ" [رواه الترمذي].

هذا الحديثُ يَعلّمُنا أنَّه من لا يعرفُ اللهَ ويَقتربُ منه في منحة الرخاءِ، فلن يُجنِّبَ اللهُ قوائمَه من العقوبات وعِقاب المحن في الشدّة. أذكُرُكمُ قصةَ نبيِّ الله يونسَ عليه السلام، ذاك الذي النبي الذي ابتلعه الحوتُ في ظلمات ثلاث، وهو في أشدِّ المواقفِ عذابًا وحاجةً للهداية والفرج. ولما دعا ربه بتوبةٍ خالصةٍ قال:

"لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ" [الأنبياء: 87].

فهو نموذجٌ حيٌّ لشخصٍ آمنَ بالله، فهدى قلبَهُ بالصبرِ والثباتِ، ونجى من المحنة.و قصةُ صاحبِ الجنتين الذي اغتر بدنياه، ونسي خالقَه، وزهد في الإيمان، وظنَّ أن جَنّته لن تَفنى أبدا. فقال:

﴿مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا﴾ [الكهف: 35]، فكان مصيرهُ الهلاك والفناء. ومثلُه قارونُ المغرور الذي قال:

﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ [القصص: 78]، فخسَفَ اللهُ به وبدارهُ الأرضَ، ولم يُنْجِهِ ماله. فلنجعل نصبَ أعينِنا قوله تعالى:

﴿وَمَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ۚ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن: 11].

كلُّ شيءٍ بقضاءٍ وقدرٍ من الله، ومن آمنَ به وأيقن، هُدي قلبُهُ لرضا الله وطاعته، فكان في كل حالٍ على بينةٍ من أمره، لا ييأسُ ولا يغترّ. ونحنُ مأمورون بالصبرِ على البلاءِ دون طلبه، كانَ فِي العِراقِ رَجُلٌ صَالِحٌ يُدْعَى سَمْنُونَ المُحِبَّ، أَحَبَّ اللهَ حُبًّا شَدِيدًا، وَتَمَنَّى أَنْ يَبْتَلِيَهُ اللهُ لِيُظْهِرَ صِدْقَ مَحَبَّتِهِ.

فَاسْتَجَابَ اللهُ لَهُ، فَأَصَابَهُ ابتلاء شديد فَصَعُبَ عَلَيْهِ التَّبَوُّلُ، فَنَدِمَ عَلَى طَلَبِ البَلَاءِ، وَكَانَ يَقُولُ لِلصِّبْيَانِ: في الكتاتيب «اِدْعُوا لِعَمِّكُمُ الكَذَّابَ».

فَتَعَلَّمَ النَّاسُ مِنْ قِصَّتِهِ أَنَّ المَحَبَّةَ الصَّادِقَةَ لِلَّهِ لا تَكُونُ بِطَلَبِ المِحَنِ وَالابْتِلَاءِ. بل بالشكرِ على الرخاءِ، كما في قوله تعالى:

﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: 152]. فمن واقعِ التاريخِ الإسلامي، تجد الصحابةُ رضوان الله عليهم قد صبروا على أشدِّ البلاءِ من عذابِ المشركين، فقد حوصروا في شعب أبي طالب لسنوات، وهم يعانون الجوعَ والمرضَ بشدّة. وكانوا مثالاً في الصبر والاحتساب، ولم ينكسروا. ويوم أنعم الله عليهم بأمانٍ ورخاءٍ، لم ينسوا ربهم، بل زادوا طاعة وشكرًا، كما في قصص الخلفاء الراشدين الذين تربعوا على عروش الرخاء ورغم ذلك لم يغترّوا، فجعلوا نصبَ أعينهم رضى الله وحده.

أيها الإخوةُ الأحبّة، ومَن يُحِبُّ لهذا الدينِ وأهله الخيرَ، فإنّ الحديث عن الابتلاء بالرخاءِ والشدةِ لا يُتناولُ بتجريدٍ فقط، بل هو واقعٌ نعيشهُ في حياةِ أُمّةٍ تتعرضُ لاختباراتٍ قاسيةٍ. ومن أشدّ وأقسى المشاهدِ المعاصرةِ، واقعُ أهلِ غزة الذين شهدنا معهم آلامَ سنواتٍ من الحصارِ والحروب المتلاحقةِ. فغزة، هذا الركنُ الصغيرُ من الأرض، المحاصرُ منذ زمن، عبرَ الأعوام التي مرَّت بقرارات الحصارِ المشدّدِ، والحروبِ المكثفةِ التي تركت فيها شظايا الدمارِ لتُمزّقُ أوصالَها، تُعاني اليوم أشدّ الفقرِ والجوعِ والمرضِ، وإن شهد وقفُ إطلاق النارِ الهشّ الأخيرُ، إلا أنَّ ما يهدرُ وقتها بعد الهدنة هو تلكأ الصهاينة ونقض عهودهم كعادتهم. فواقعَ إعادة الإعمارِ والعلاجِ في المستشفياتِ وفتحِ المعابر لا يزالُ بعيدا، وسط تعقيداتِ الحصارِ و دمار الحرب الذي يبتلعُ كل ما هو جميلٌ في نفوسِ أهلِ غزة. تلك الشدائدُ اليومَ ليستْ مجردَ معاناةٍ من القصفِ والدمارِ، بل هي عجز لتوفير أبسطِ المتطلبات، من ماءٍ نقيٍ، وكهرباءٍ تكفي لتشغيلِ الأجهزة الطبيةِ، وتموينِ الغذاءِ للناس ممن نزحوا من ديارهم أو بقوا حبيسي الركام. إنهم يحملونَ أثقالَ الابتلاءِ بحجمِ الجبال، ويواجهون المحنَ بقلبٍ يقينُه بالله. والسؤالُ يطرح نفسه: ماذا بعد الهدنة الهشة؟ هل هي سلامٌ حقيقيٌ أم مجردُ استراحةٍ مؤقتةٍ تُمهّد لمزيدٍ من الألمِ؟ قد تروقُ للبعض كلماتُ الاتفاقاتِ ووعودُ المساعداتِ، لكنها للأسفِ في كثيرٍ من الأحيانِ، درّ الرمادِ في العيونِ. فالمساعداتُ تمضي أحيانًا ببطءٍ شديدٍ، والقيودُ على المعابر لا تزالُ مشددةً، والدمارُ تحت الركامِ ينتظرُ من يُعيدُ الحياة. كيف للنفسِ أن تستكينَ في ظلِّ واقعٍ تنهشُهُ الفوضى والدمار؟ وكيف للقلبِ أن يطمئنَّ بينما الألغامُ والحصارُ يحيطان بكلِّ ما هو حي؟ إنها فَتنةٌ عظيمةٌ، لكن فتنةُ الرَّخاءِ لا تقلُّ سوءًا عن فتنةِ الشدة،كما قال تعالى:

﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ...﴾ [الأنعام: 44]

وغزة اليوم تمثل اختبارًا عميقًا للمؤمنينَ كيفَ يواجهونَ التحدياتِ، سواء في موتٍ شبه يومي أو في أملٍ هشٍ في غدٍ جديدٍ. بينما يعيشُ أصحابُ الرخاءِ في أماكنَ أكثرَ أمانًا، تُغريهمُ الحياةُ بالنسيانِ وغفلةِ القلبِ، هناك أهلُ غزة صامدون، رغم قسوة الحياةِ، يظهرونَ في صبرِهم ثبات رجالِ الإيمانِ، وأسى طويلٍ في القلبِ على ما كانت عليه البلادُ والعباد. ويَصيحُ الزمانُ لهم: صبرا ومصابرة، فما زال أمامهم مسيرةُ النضالِ والحياة، إعادة الإعمارِ وعودة الأمل، علاجُ المرضى، تعليمُ الأطفال، وكلُّ ذلك يجري تحت ظلِّ قيودٍ مشددة، لا تسمحُ بالحريةِ ولا بالكرامةِ.في هذه اللحظاتِ، تذكروا قول الله تعالى:

"إنَّ مع العسر يُسرًا، إن مع العسر يُسرًا" [الشرح: 5-6]، فغزة كما كانت وما زالت في اختبار المصائبِ الدقيقةِ، إلا أن الله سبحانه وتعالى وعد الفرج لمن صبر وثبت. أيها الأحبة ، إن الذي عاش ظلمةَ القصفِ مرتين أو ثلاثًا، وتذوق وجعَ فقدانِ أحبته، يعرفُ أن غزة وقلب أهلها لن يُخضعَهُ الخوفُ، ولا حربُ اليأسِ. إنهم مثالٌ للصبرِ والإيثارِ، والاحتسابِ، كما قال تعالى:

﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: 155].ولذلك، لا يغترُّ أحدٌ منا برخاءِ بلده وهدوئهِ، بل ليعلم أن الفتنة بالرخاء أقسى وأعظم فتنةً، فلا تنسوا أهل غزة في دعائكم وعملكم، وخذوهم عبرةً عظيمةً بيننا وبين أنفسنا كيف نُحصِّن قلوبنا في أوقات اليسر، لنثبت في المحن. نسأل الله العلي العظيم أن يُنزل على غزة ومن في ضيقها غيث رحمته، ويُزيل عنهم البلاء، ويفرج كربهم، ويجعل صبرهم عونًا لنا في دروس الحياة واختبارها. وصلّوا على النبيّ محمدٍ، وآله وصحبه أجمعين.والحمد لله رب العالمين.

Título: La prueba entre lo bueno y lo difícil

En el nombre de Allah, que es siempre bueno y perdona. La paz y las bendiciones sean para nuestro querido profeta Muhammad, su familia y sus amigos.

Hoy vamos a hablar de algo muy importante: en la vida, cada persona pasa por pruebas. A veces tenemos cosas buenas, y otras veces cosas difíciles. Allah, que es muy sabio, nos prueba en lo bueno y en lo malo para ver cómo reaccionamos. Él nos dijo en el Corán: “Os vamos a probar con

cosas malas y buenas para ver cómo actuáis” (Al-Anbiyā’, 35).Cuando estamos enfermos, tristes o cansados, o cuando algo nos duele, es una oportunidad para acercarnos más a Allah.

El profeta Muhammad dijo que incluso cuando una espina hiere a un creyente, esa prueba le ayuda a limpiar sus errores y ser mejor. Él dijo: “No pasa nada malo a un creyente, aunque sea una espina que le pinche, sin que Allah borre algo malo que haya hecho” [Al-Bujārī, Muslim].Pero cuando todo está bien y tenemos muchas cosas, a veces podemos olvidarnos de Allah, y eso es peligroso.

A esto se le llama "relajarse en la fe" y puede hacer que no agradezcamos a Allah ni pensemos en Él. Por eso, el profeta nos dijo: “Conoce a Allah cuando estés bien, y Él te reconocerá cuando estés enfermo o tengas problemas” [At-Tirmidhī].En el Corán hay historias que nos enseñan esto. El profeta Yunus, que estuvo dentro de un pez, pidió perdón a Allah y fue salvado. Dijo: “No hay más dios que Tú, perdóname” (Al-Anbiyā’, 87).

En cambio, personas como el hombre rico de los jardines y Qarun olvidaron de dónde venían sus riquezas y fueron castigados porque se llenaron de orgullo.

Hoy en día, podemos ver lo que pasa en Gaza.

Allí la gente sufre mucho por la guerra y el bloqueo. No tienen suficiente comida ni medicinas, muchas casas están destruidas y les falta luz y agua. Aunque hay un acuerdo para parar los ataques, todavía es muy difícil vivir ahí.

La reconstrucción será lenta y costosa, y mucha gente sigue esperando ayuda.La gente de Gaza sigue firme, a pesar de todo.

Cada vez que escuchan la llamada a la oración entre las ruinas, recuerdan que después de la dificultad siempre llega la facilidad (Ash-Sharḥ, 6). Son un ejemplo de paciencia y valentía. Nos enseñan que tener un corazón fuerte con fe es más importante que tener cosas materiales.

Y para quienes viven tranquilos y seguros, esta es una lección: el bienestar también es una prueba. Debemos agradecer, ayudar a otros, y no olvidarnos de los que sufren.

Así demostramos que somos verdaderos creyentes que valoran todo lo que Allah nos da.